

تجلي التحليل الأسلوبي لدى عبد القاهر الجرجاني

the appearance of Stylistic analysis at Abdul Qahir Jirjani

د. فاطمة الزهراء فايدى *

faidifatmazohra@gmail.com

أد العربي عميش

مخبر اللغة الوظيفية جامعة حسيبة بن بوعلي - شلف-

قسم اللغة العربية-جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف(الجزائر)

تاريخ الارسال: 2019-05-04 تاريخ القبول 2025-08-12 تاريخ النشر: 2025-09-16

الملخص:

عرفت الساحة النقدية الغربية حراكا معرفيا أدى لظهور مناهج وآليات إجرائية تُدارس النصوص الأدبية على اختلاف جنسها (شعري أم نثري)، كالبنويّة، والسميائية، والأسلوبية، وهذا الاتجاه الأخير نال حُظوة لدى نقادنا العرب الحداثيين والمعاصرين، حيث امتثلوا لموقفين فمهم من انصرف للتأصيل لها، وربطها بالبلاغة العربية القديمة المتمثلة في جهود نقادنا القدامى، ومنهم من انصرف إلى نقلحمولتها المعرفية عن طريق الترجمة بُغية تقريبها للمتلقى العربي، وتطبيق آلياتها الإجرائية على نصوصنا الأدبية القديمة والحديثة.

ونسعى في هذه الدراسة البحث عن ملامح التحليل الأسلوبي باختلاف توجهاته التحليلية التي تمثلها كل من شارل بالي، وليو سبيتزر، وميشال ريفاتير من خلال القضايا البلاغية التي تناولها عبد القاهر الجرجاني بالتحليل في مؤلفيه (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة).

الكلمات المفتاحية: تجلي؛ تحليل أسلوبي؛ بنيوي؛ ميشال ريفاتير؛ عبد القاهر الجرجاني.

ABSTRACT :

The western criticism area has known a knowledge movement that has led to the emergence of methods and procedural mechanisms that study the literary texts of different types (poetry, prose), such as structuralism, semiotics and stylistics. This pattern trend was favored by our modern and contemporary critics, who take it as an original and linked it with the old Arabic rhetoric that represents our ancient critics' efforts. Others had taken it as a knowledgeable content by the translation ways in order to bring it closer to the Arab audience and to apply its procedural mechanisms to our old modern literary texts.

In this study, we seek researching about the structural analysis that had been headed by Michel Rivatier through the rhetorical issues that were analyzed by Abdel-Qahir Jirjani in his two writings by the way.

key words : the appearance ; Stylistic analysis; structural; Michel Riffaterre; Abdul Qahir Jirjani

1- أثر اللسانيات والشكلانيين الروس في التحليل الأسلوبي:

يعود ظهور الأسلوبية إلى الحراك المعرفي الذي برز في أوروبا، وذلك من خلال جهود اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (f. de saussure) المتمثلة في محاضراته التي ألقاها على طلبته في جامعة جنيف، وتم جمعها بعد وفاته في كتاب وسموه بـ (محاضرات في اللسانيات العامة). ومن خلال هذه المبادئ التي أسسها في الدرس اللساني أنجبت عدة مناهج من بينها الأسلوبية التي استثمرت هذه الأسس اللسانية في التأسيس لآليات التحليل الأسلوبي بصفة عامة، وبهذا: «تزامنت نشأة علم الأسلوب مع تجديد دراسة اللغة، وظهور علم اللغة الحديث (اللسانيات) على يد دي سوسير، الذي يُشار دائما لأفكاره الرائدة في هذا المجال»¹

وقد اعتمدت الأسلوبية على ثنائية لسانية تمثلت في: اللغة (Langage) واللسان (Langue)، حيث قام دي سوسير بالفصل بينهما مُنافيا في ذلك المعتقد القديم الذي ساد قبله في التفكير اللغوي، فيصل من خلال هذا التمييز بينهما إلى أنّ اللغة ملكة فطرية تولد مع الإنسان، في حين اللسان فهو النظام التواصل الذي يمتلكه كل فرد متكلم ينتهي إلى مجتمع لغوي له خصوصيته الثقافية والحضارية، ويحدد بهذا دي سوسير ماهية اللغة بأنّها: «نظام (Systeme) أو بنية خاصة تميزها عن الكلام (Parole) الذي لا يخضع لقوانين خاصة، خلافاً للغة المعينة التي تتألف من بنية قابلة للملاحظة والتصنيف»²، ويُحيل هذا المفهوم إلى أنّ اللغة عبارة عن نظام أو بنية مخالفة للكلام الذي يُعتبر الأداء الفعلي لهذه اللغة، ولا يحتكم لقوانين في حين اللغة تخضع لقوانين وقابلة للملاحظة والتصنيف.

وتم تحديد الحقل الذي تعمل فيه الأسلوبية من خلال الثنائية اللسانية (اللغة والكلام)، وذلك بتمييز دي سوسير بينهما، حين اعتبر الكلام الظاهرة المجسدة للغة، فهذا الأمر هو الذي ساعد في تحديد حقل الأسلوبية، واعتبار الكلام أو العبارة أو الرسالة أو طاقة الفعل، ومهما اختلفت المصطلحات لظاهرة الكلام، فهو المجال الذي تُركز عليه الدراسة الأسلوبية.³

ولعبت مفاهيم لسانية أخرى دوراً مهماً في بناء الأسلوبية وهما: (المحور النظري والمحور الاستبدالي)، ونعني بالمحور النظري: «هو المستوى الذي تنتظم عليه الوحدات اللغوية لتؤلف سلسلة معينة من الكلام (في مقاطع وكلمات وجمل)»⁴، ويعني هذا أنّ المحور النظري هو الذي يحتوي على المفردات والكلمات التي تدخل فيما بعد في علاقات على مستوى المحور الاستبدالي والذي تُقصد به: «المستوى الذي تنتظم عليه العلاقات بين كل إشارة من الإشارات الموجودة في المرسلات الكلامية والإشارات الأخرى التي تنتهي إلى اللغة نفسها، وهي علاقات تربط في ذهن المتكلم والسامع بين الإشارات التي تنتهي إلى نمط واحد وتقوم بوظيفة لغوية مشتركة، وتستطيع أن تحل في مكان الأخرى في سياق السلسلة الكلامية، لكن دون الاخلال بالنظام النحوي»⁵

ونخلص بهذا إلى أنّ هذين المحورين (النظري والاستبدالي) مكملين لبعضهما البعض، فلا يمكن أن نجد محور دون الآخر، فإذا كان مهام الأول توفير المفردات والكلمات، فيختص المحور الثاني بإدراج هذه المفردات في علاقات لغوية دون المسامح بجانبها النحوي ليُكون المتكلم سلسلة كلامية تتوافق وفهم السامع.

ونجد هذه الثنائية اللسانية وُظفت في الدراسة الأسلوبية تحت مسمى (التركيب والاختيار)، وهي عملية متعلقة بالمتكلم الذي ينسج خطاباً أدبياً موظفاً كلمات معينة بغية التأثير على المتلقي لهذا العمل الأدبي، وهذا ما يتمثل جلياً في التحليل الأسلوبي البنيوي الذي أسسه كل من رومان جاكبسون، و ميشال ريفاتير.

كما لا ننسى مساهمة الشكلانيين الروس في التأسيس للأسلوبية بعد استثمار جهود اللغوي دي سوسير، ففي عام 1965 قام تزفيتان تودوروف بترجمة أعمال الشكلانيين الروس إلى الفرنسية، وهذا ما أدى إلى بث الروح في الأسلوبية من جهود رومان جاكبسون المتمثلة في النموذج التواصل (وظائف اللغة)⁶.

يهتم جاكسون بالوظيفة الشعرية المتمثلة في (الرسالة أو المرسل)، فهي: «تتميز بالتشديد على المرسله لحسابها الخاص»⁷؛ أي أنّ الوظيفة الشعرية تكمن في الرسالة من منظور جاكسون، ومن خلالها نتوصل إلى الجمالية فهي نظرة نصية، حيث ينطلق جاكسون من تحديد الوظيفة الشعرية من داخل الرسالة ولا يهتم بالسياقات الخارجية، وهنا تكمن نقطة الالتقاء بين الفكر الشكلائي الروسي المتمثل في جاكسون، والتحليل الأسلوبي البنيوي الذي ساهم في زرع بذوره الأولى. ونستشف مما سبق ذكره إلى أنّ كل من دي سوسير ورومان جاكسون، وتزفيتان تودوروف لهم الدور في التأسيس للتحليل الأسلوبي في صفته العامة.

وكذلك لم تتوقف الأسلوبية عند هذه الجهود، وإنما يرى باحثون أنّ: «الميلاد الحقيقي للأسلوبية (...) يعود إلى بدايات القرن العشرين مع تلميذ دو سوسير ومواطنه الألسني السويسري شارل بالي (Charle Bally) (1865-1947) الذي أسس هذا العلم في كتابه الرائد مبحث في الأسلوبية الفرنسية (Traité de stylistique française) سنة 1909 تحديداً»⁸، ويتضح هنا استثمار شارل بالي للجهود اللغوية التي أرساها أستاذه السويسري فرديناند دي سوسير، وهذا ما أدى به فيما بعد للتأسيس لأسلوبية تعبيرية تنطلق من دعائم لغوية.

وبعدما تطرقنا للتحليل الأسلوبي في بيئته الغربية والظروف التي ساهمت في تأسيسه، حيث تراوحت بين الأسس اللسانية، وجهود الشكلايين الروس، فنلقى الأسلوبية تم إدراجها ضمن النقد العربي الحديث.

2- استقبال النقاد العرب الحداثيين للأسلوبية:

يذهب نقاد العرب الحداثيين إلى تحديد الفترة التي تم فيها ولوج الأسلوبية الوسط النقدي العربي، فيربطونها بالملاح الأولى التي تزعمها «أمين الخولي في مؤلفه "فن القول" الذي صدر في أوائل الخمسينات من القرن العشرين، حيث تأثر في مؤلفه بالمدرسة الإيطالية، وكذلك جهود أحمد الشايب في مؤلفه "الأسلوب" والذي صدر في نفس الفترة الزمنية، وقد كان أحمد الشايب يميل إلى المدرسة الفرنسية التي تزعمها شارل بالي»⁹.

ويؤنوه نور الدين السدي في حديثه عن نشأة البحث الأسلوبي في النقد العربي إلى دور كل من أحمد الشايب وأمين الخولي في الربط بين مباحث البلاغة ومباحث الأسلوب، ويُمكن القول أنّ جهودهما كانتا السبب الرئيس وراء دخول الأسلوبية النقد العربي الحديث والمعاصر، وربط البلاغة العربية بما هو حداثي.

وشهدت الأسلوبية بعد هذه المحاولة التأصيلية تراجعاً في الوطن العربي إلى: «فترة السبعينات والثمانينات من القرن العشرين على يد مجموعة من النقاد العرب، لعل من أبرزهم: عبد السلام المسدي، محمد عبد المطلب، صلاح فضل، محمد الهادي الطرابلسي، وفايز الداية، حيث تناولوا الأسلوبية من منطلق نظري أو تطبيقي»¹⁰؛ أي أنّ الأسلوبية في النقد العربي قبل السبعينات والثمانينات من القرن العشرين خفت نورها وبريقها، ولكن عادت للظهور من خلال ثلّة من النقاد من مغاربة ومشاركة، وعلى اختلاف توجهاتهم تم التعريف بالأسلوبية وتداولها بين الباحثين الأكاديميين في الجامعات العربية.

وقام نقادنا العرب الذي أسلفنا ذكرهم بالتعريف بالأسلوبية، ومن المفاهيم التي وضعت لهذا المصطلح نذكر الناقد عبد السلام المسدي الذي يعرفها بأنّها: «علم لساني يُعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللّغة»¹¹، فيعتبرها ذات منطلق لساني حقله هو الدراسة الوصفية للّغة، ويُوافق في هذه الرؤية الناقد عدنان بن ذريل بتعريفه للأسلوبية على أنّها: «علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللّغوية التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية فيميزه عن غيره... إنّها تتقرى الظاهرة الأسلوبية بالمنهجية العلمية للّغوية، وتعتبر (الأسلوب) ظاهرة هي في الأساس لغوية تدرسها في نصوصها وسياقاتها»¹²، ويتضح من القولين أنّ كل من الناقد عبد السلام المسدي وعدنان بن ذريل ينطلقون في تحديد مفهومهم للأسلوبية من المفهوم الغربي السائد، وربط الأسلوبية بالمنشأ أي بالدراسات اللسانية التي كان لها دروا في إرساء الأسلوبية الغربية.

3- اتجاهات التحليل الأسلوبي الغربي:

تنوعت اتجاهات التحليل الأسلوبي في طرحة الغربي، فتراوحت بين التحليل الأسلوبي التعبيري الذي يُمثله شارل بالي تلميذ فرديناند دي سوسير، والتحليل الأسلوبي الفردي الذي تزعمه ليوسبيتزر، كما نجد التحليل الأسلوبي البنيوي الذي أسسه ميشال ريفاتير.

أ- التحليل الأسلوبي التعبيري (الوصفي):

يُعد شارل بالي مؤسس هذا الاتجاه الأسلوبي معتمداً في إرساء هذه الدعام المنهجية لمجهودات أستاذه اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير، وعُني شارل بالي بدراسة: «المظهر اللغوي للأسلوب خارج نطاق الأدب ويركز على الجانب العاطفي في تشكيل سمات مميزة للأساليب اللغوية»¹³، وبهذا تم تحديد مجال العمل عند شارل بالي فيا لمحتوى العاطفي الذي يتمثل في اللغة المنطوقة بعيداً عن النصوص الأدبية، وذلك بسبب انطلاقة اللسانية.

ويمكننا أن نُحدد ماهية الأسلوبية التعبيرية عنده بأنها: «العلم الذي يدرس وقائع التعبير من ناحية محتواها العاطفي؛ أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة، وواقع اللغة عبر هذه الحساسية»¹⁴، فمن خلال هذا التعريف الشامل يُحدد مجال العمل بالنسبة للمحلل الأسلوبي الذي يتبع هذا النوع من التحليل الأسلوبي.

فالدارس الأسلوبي بالنسبة لشارل بالي هو: «دارس لغوي محض، يقوم بدراسة الخامات اللغوية من حيث دلالاتها الإضافية مهما كانت طبيعة النص الذي يعمل عليه، إن كان مأخوذاً من الأدب أو العلم أو الإدارة أو شؤون الحياة العادية»¹⁵، ويتضح لنا من هذا القول أنّ الدارس الأسلوبي عند شارل بالي يتميز بصفة وهي أن يكون لغوي يعمل على دراسة الظواهر اللغوية الموجودة في النص سواء أكان هذا النص مأخوذاً من الخطاب الإداري أو العلمي أو الأدبي أو ما تعلق بأمور الحياة اليومية؛ أي دراسته دراسة وصفية محض للنص بعيداً عن إصدار الأحكام وفتح الدلالات.

ب- التحليل الأسلوبي الفردي:

يُعتبر ليوسبيتزر مؤسس هذا الاتجاه، والذي استدرك من خلاله ما وقع فيه شارل بالي، حين انصب اهتمامه بدراسة اللغة المنطوقة وفق المنهج اللساني متأثراً بذلك بأستاذه، وإهماله البعد الجمالي للغة المكتوبة وخاصة الموجودة في النصوص الأدبية، وبهذا نجد ليوسبيتزر يهتم بدراسة الأدب؛ أي تحليل أسلوب الكاتب من خلال لغته، وأطلق على تحليله الأسلوبي بـ: الدائرة الفيلولوجية (Cercle Philologique)¹⁶، وهذا المصطلح تُرجم إلى عدة مقابلات في مؤلفات نقادنا العرب المعاصرين، ونذكر منهم: عبد السلام المسدي الذي يُوظف مقابلاً عربياً متمثل في (السياج الفيلولوجي)¹⁷، ومحمد غرام يترجمه بـ: (الدائرة الفيلولوجية)¹⁸، أمّا عدنان بن ذريل فيراوح بين استخدامه لمصطلح السياج الفيلولوجي والسياج فقه اللغوي¹⁹، وهنالك مقابلات عربية أخرى، إلّا أنّ هذا التعدد المفاهيمي للمصطلح الواحد لم يؤثر على نقادنا العرب، ونقلهم للآليات الإجرائية التي اختص بها هذا الاتجاه، ويتبع المحلل الأسلوبي الفردي جملة من الآليات الإجرائية بُغية دراسته لنص أدبي ما، وتتمثل في الخطوات التالية: يقوم المحلل الأسلوبي الفردي في الخطوة الأولى باختيار: «عمل أدبي ما، أعمال مؤلف مثلاً، يقرأ الناقد العمل ثم يُعيد قراءته دون إهمال أي جزء منه، إلى أن يألفه لدرجة ينتابه انطباع جمالي نفسي مهمين، ويمكن لهذا الانطباع الجمالي- النفسي المهمين أن يسمى أثر»²⁰، ويعني هذا أنّ الآلية الإجرائية الأولى في التحليل الأسلوبي الفردي قائمة على اختيار عمل أدبي، ثم يقوم بقراءته عدة مرات متوالية إلى أن يحدث عند المتلقي لهذا العمل انطباع جمالي يكمن في النفس، وبهذا يبقى المتلقي أسيراً لهذا الانطباع حتى يتحول إلى أثر لا يمكن أن يزول.

أما الآلية الثانية فتكمن في: «سلسلة من القراءات المثالية للنص ذاته:» يتعلق الأمر هنا باكتشاف تفصيل شكلي، أو عادة لغوية، أو خاصية كلامية، تلفت انتباه القارئ من حيث هي سمة متكررة في العمل من جهة، ومن حيث هي ترتبط بالانطباع الميمن من جهة ثانية.²¹، فيبقى المحلل الأسلوبي في هذه الخطوة على اتصال دائم مع العمل الأدبي المختار من خلال قراءاته المتكررة، لكن في هذه المرحلة يسعى المحلل الأسلوبي الفردي إلى تحديد خاصية أسلوبية تثبت الانطباع الذي توصل إليه في المرحلة الأولى.

ويقوم المحلل الأسلوبي الفردي في خطوة ثالثة: «سلسلة متتالية من القراءات المتكررة للأعمال نفسها: إذ أنه لا يكفي أن يعكس سمات لغوية شعورية بهذا الانطباع أو ذلك حتى لو كان هذا فريدا»²²، فالمحلل في هذه الخطوة يبقى يبحث عن عناصر لغوية أسلوبية أخرى تدعم العنصر الأسلوبي الذي توفر في المرحلة الثانية، ويتأكد من الانطباع الذي هيمن على القارئ. ونستنتج مما سبق ذكره إلى أن التحليل الأسلوبي التعبيري يقوم على آليات إجرائية تم تحديدها من قبل شارل بالي في البعد اللغوي، في حين التحليل الأسلوبي الفردي، فليوسبيتزر يربط تحليله بدراسة أسلوب الكاتب من خلال لغته، فهو يربط العمل الأدبي بصاحبه، وكاتجاه ثالث ظهر فيما بعد في الدراسة الأسلوبية الغربية التحليل الأسلوبي البنيوي الذي كان مرتبطا ب: ميشال ريفاتير الذي استثمر جهود دي سوسير ورومان جاكسون.

ج-الاتجاه الأسلوبي البنيوي:

يهتم الاتجاه الأسلوبي البنيوي بدراسة العلائق التي تحكم الوحدات اللغوية داخل النص الأدبي، كما أنه يُعنى بالبعد التواصل الذي يحتويه النص الأدبي، ويُعد ميشال ريفاتير (M-Riffaterre) من ممثلي هذا الاتجاه، وذلك من خلال المساهمة التي قام بها في النصف الثاني من هذا القرن ليؤصل للأسلوبية البنيوية²³، وذلك بتأليفه لمؤلفه الموسوم بـ: "محاولات في الأسلوبية البنيوية".

وقد أسس ريفاتير الاتجاه الأسلوبي البنيوي باستقراء مفاهيم الدارس اللغوي دي سوسير، خاصة في فكرة ماهية اللغة، وكذلك المنهج المحايث الذي انطلق منه دي سوسير في سبيل دراسة للغة، وهذا ما تجلّى في فكر ريفاتير حين إرسائه دعائم هذا الاتجاه، وبهذا يرجع الباحثين العرب نشأة الاتجاه الأسلوبي البنيوي وتطوره إلى التطور الذي عرفه الدرس اللغوي في بداية القرن التاسع عشر²⁴.

واستفاد ريفاتير كذلك من الجهود التي قام بها رومان جاكسون خاصة فكرة الوظيفة الشعرية التي تتحقق بوجود محوري الاختيار والتركيب²⁵، وتبين من خلال هذا أن الاتجاه الأسلوبي البنيوي استقى مبادئه من لسانيات دي سوسير، وأبحاث رومان جاكسون.

وبعد التطرق إلى المرجعيات التي كانت لها دورا في تأسيس ريفاتير لمنهجه الإجرائي، فقد اهتم بتحليل النص الأدبي الراقبوقام منهجه على مرحلتين هما:

-القراءة الأولى: «ويُسميها-ريفاتير-مرحلة اكتشاف الظواهر وتعيينها وتسمح للقارئ بإدراك وجوه الاختلاف بين بنية النص والبنية النموذج القائمة في حسه اللغوي مقام المرجع فيدرك التجاوزات والمجازات وصنوف الصياغة التي توتر اطمئنانه اللغوي فيقصيها أو تلفظ فرضياته»²⁶، ويقصد بهذه المرحلة من وجهة نظر ريفاتير أن الباحث يقوم باكتشاف السمات الأسلوبية وتحديدها مع الإشارة إلى الانحرافات اللغوية التي تُثير المتلقى فتفرض عليه هذه السمات سيطرة إما الإبقاء عليها أم يتجاوزها.

-القراءة الثانية: «ويسميها مرحلة التأويل والتعبير، وتأتي تابعة للمرحلة الأولى ضرورة، وعندها يتمكن القارئ من الغوص في النص والانسياق في اعطافه، وفكه على نحو ترابط فيه الأمور وتتداعى ويُفعل بعضها في بعض»²⁷؛ أي أن القارئ في هذه المرحلة من التحليل ينصرف إلى التأويل، حيث يتوغل داخل النص ليكشف مدى تناسقه.

4-ملاح التحليل الأسلوبي لدى عبد القاهر الجرجاني:

ونسعى في هذه الورقة البحثية إلى الكشف والبحث عن ملاح التحليل الأسلوبي لدى عبد القاهر الجرجاني من خلال الجهود التحليلية التي قام بها في سبيل تأسيسه لنظرية النظم، وهذا ما سيتضح لنا في أول اتجاه أسلوبي.

أ-ملاح التحليل الأسلوبي التعبيري لدى عبد القاهر الجرجاني:

يُركز التحليل الأسلوبي التعبيري على دراسة الاحتمالات التركيبية في اللغة، وهي تحمل شحنة تعبيرية يتوصل إليها المتلقى من خلال تأويله لها، وهذا ما يوضحه بيرجيو بقوله: «الأسلوبية التعبيرية دراسة لقيم تعبيرية وانطباعية خاصة بمختلف وسائل التعبير التي في حوزة اللغة، وترتبط هذه القيم بوجود متغيرات أسلوبية، أي ترتبط بوجود أشكال مختلفة للتعبير عن فكرة واحدة وهذا يعني وجود مترادفات للتعبير عن وجه خاص من أوجه الإيصال»²⁸.

ويتجلى هذا النوع من التحليل الأسلوبي في الدرس البلاغي العربي القديم وخاصة عند البلاغي عبد القاهر الجرجاني الذي نلمح له إشارة إلى المتغيرات التركيبية، وذلك عند تحليله للشاهد القرآني لقوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلْ رَأْسُ شَيْبًا﴾*، فنجد عبد القاهر الجرجاني يُدرج في هذا الموضع احتمالات تركيبية للآية القرآن فلو تم اسناد الفعل (اشتعل) لكلمة (الشيب)، فنحصل على عبارة (اشتعل شيب الرأس) أو (الشيب في الرأس) ويُوازن عبد القاهر الجرجاني بين هاتين العبارتين بالعبارة: «اشتعل البيت نارا فيكون المعنى أنّ النار قد وقعت فيه وقوع الشمول، وأتمها قد استولت عليه وأخذت في طرفيه ووسطه»²⁹.
فالعبارتين اشتعل شيب الرأس أو الشيب في الرأس يدلان على معنى مخالف لما ورد في الآية القرآنية: ﴿وَأَشْتَعَلْ رَأْسُ شَيْبًا﴾*، وليوضح ذلك الفرق يأتي عبد القاهر الجرجاني بمثال آخر: (واشتعل البيت نار) ليخلص إلى أنّ الشيب عما على الرأس كله، فالشيب وقع على كل الرأس، وقد وصل إلى هذا المعنى من خلال اسناد الألفاظ وتركيبها تركيبا سليما « فاسناد الفعل (اشتعل) إلى كلمة (الرأس) معرف بـ (ال)، ونصب (شيبا) بعده على التمييز»³⁰، وتؤكد العبارة (اشتعل البيت نار) على صحة المعنى المتوصل إليه فالنار وقعت في البيت كله؛ أي شملت كل المنزل.

ويظهر المتغير التركيبي في الشاهد القرآني لقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾*، حيث وقع الشمول الذي وقع الشمول الذي حصل على اسناد الفعل (اشتعل) إلى (الرأس) فالإفادة من هذا الشاهد «أنّ الأرض قد صارت عيونا كلها وأنّ الماء قد كان يثور من كل مكان منها»³¹، فهنا يقع التفجير للعيون. وإذا قيل: «وفجّرنا عيون الأرض أو العيون في الأرض لم يُفد ذلك ولم يدل عليه ولو كان المفهوم منه أنّ الماء قد فار من عيون متفرقة في الأرض وتبجس من أماكن منها»³²، فالمعنى الذي يتوصل إليه المتلقى للخطاب القرآني يجد أنّ اسناد الفعل (فجر) إلى (الأرض) يكون المعنى أقوى من التركيبين البديلين المتمثلين في (فجرنا عيون الأرض وفجّرنا عيون الأرض أو فجّرنا العيون في الأرض)، فالقيمة التعبيرية تختلف لدى القارئ حين قراءته لهاته العبارتين فيخلص إلى المعنى المراد أنّ الماء كان فارا في الأرض من عيون متفرقة وينبجس في أماكن منها وليس في كل أماكن الأرض.

ب-ملاح التحليل الأسلوبي الفردي لدى عبد القاهر الجرجاني:

يُعنى التحليل الأسلوبي الفردي بدراسة النص اللغوي للكشف عن نفسية الكاتب وشخصيته وتكوين رؤية فنية اتجاه النص، ونلمح إشارة لهذا التحليل الأسلوبي لدى عبد القاهر الجرجاني حين قال: «تعرف من البيت الواحد مكانة الرجل من الفضل وموضع من الحذف وتشهد له بفضل المنه وطول الباع. وحتى تعلم -إن لم تعمل القائل- أنّه من قبل شاعر فحل وأنّه خرج من تحت يد صناع»³³، ويتضح من هذا أنّ عبد القاهر الجرجاني يحدد طريقة لمعرفة صاحب العمل من خلال تعبيره، فهو الذي يُعطيه سمة الفردية وتميّزه عن غيره، ويدل هذا على الصلة القائمة بين النص وصاحبه.

وينطلق التحليل الأسلوبي الفردي من السمة الفردية للتعبير، فالأسلوب يمثل شخصية صاحبه فهو بمثابة لوحة معبرة عن فكره ونظراته لما يحيطه، وهذا ما يُقره أحمد الشايب: «كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه، تبين طريقة تفكيره وكيفية نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب»³⁴، ويقصد بهذا أنّ الذاتية الركن الأساسي في إعداد الأسلوب عند أحمد الشايب، ونلمح الجاحظ يشير إلى علاقة الأسلوب بصاحبه، وذلك بقوله: «ولكل قوم ألفاظ حضيت عندهم، وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحل كلام منثور، وكل شاعر في الأرض صاحب كلام موزون، فلا بد أن يكون قد لهجا وألف ألفاظا بأعيانها ليديرها في كلامه وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ»، ويتبين من هذا القول أنّ كل بليغ أو ناثر أو شاعر إما يتأثر بالألفاظ الموجودة في بيئته، وبذلك يتسم بها ويتميز عن غيره.

ج- ملامح التحليل الأسلوبي البنيوي لدى عبد القاهر الجرجاني:

يسعى التحليل الأسلوبي البنيوي من خلال النظرة الوصفية إلى «كشف المنابع الحقيقة للظاهرة الأسلوبية، ليس في اللغة بعدها نظاما مجردا فحسب، بل في علاقة عناصرها ووظائفها»³⁵؛ أي أنّ الدراسة الأسلوبية تهتم بالبحث عن المثيرات الأسلوبية الحقيقة، وتنطلق بذلك من خلال تحديدها العلاقات التي تربط الوحدات اللغوية والوظائف التي تتحقق من خلال هذا الترابط بعيدا عن الاعتناء باللغة باعتبارها مجرد نظام قائم بذاته.

ونلمح إشارات للتحليل الأسلوبي البنيوي الذي يهتم بدراسة العلاقات التركيبية للوحدات اللغوية عند القاهر الجرجاني الذي كان يسعى إلى تأسيس نظرة وصفية من خلال نظريته (نظرية النظم)، وكان شارحا لها في مؤلفه (دلائل الإعجاز)، فقد ركز على أنّ اللفظة المفردة لا تحمل أي دلالة خارج السياق والتركيب النحوي، وفي ذلك قوله: «إنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائده. وهذا علم شريف وأصل عظيم»³⁶.

ويشير عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ المفردة في صيغتها الإفرادية لا تحمل أي معنى أو دلالة إن لم تدخل ضمن علاقات مع ألفاظ أخرى فمن خلال العلاقات التركيبية تعطي دلالة معينة، حيث يقول: «الألفاظ المفردة لم توضع لتعرف معانيها الإفرادية إنما وضعت لكي تأتلف مصطحبة تلك المعاني فتحقق بهذا الائتلاف المعاني أو الأغراض التي تفيدها من الكلام»³⁷. ويوضح عبد القاهر الجرجاني استحالة دلالة اللفظة المفردة على معنى، إلا بدخولها ضمن علاقات تركيبية مع أخواتها، وهذا ما يُقره عبد القاهر الجرجاني بقوله: «وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جارتها، وفضل مؤانستها لأخواتها»³⁸، فيتبين من هذا الموقف لعبد القاهر الجرجاني أنّ اللفظة المفردة لا تكمن فصاحتها في إفرادها، وإنّما في دخولها ضمن علاقات نحوية مع ألفاظ مجاورة لها ووضعها في مراعاة المعنى. ويمثل عبد القاهر الجرجاني لهذه المسألة باستشهاد به شاهد شعري ليبين مدى فصاحة لفظة (الأخدع)، وقام بذكرهم

كالآتي:³⁹

بيت الحماسة:

وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

تلقت نحو الحي حتى وجدتي

وبيت البحري:

وأعتقت من رقّ المطامع أخدعي

وإنّي وإن بلغني شرف الغنى

فيخلص عبد القاهر الجرجاني بعد تحليله للشاهدين الشعريين (ديوان الحماسة وبيت البحري) إلى أنّ موضع لفظة (الأخدع) تُلاقي استحسان السامع وتقع في النفس، وهذا يحيلنا على أنّ الشاعرين أحسنا اختيارهما لموضع اللفظة، أمّا في البيت الشعري لأبي تمام فيقول:⁴⁰

أضججت هذا الأنام من خرقك

يا دهر قوم من أخدعك، فقد

فيرى عبد القاهر الجرجاني أنّ الشاعر أبي تمام في توظيفه للفظة (الأخدع) لم يُصب المعنى، وإنّما السامع لها يجد فيها نوعاً من الثقل في النفس، ويدل هذا على أنّ موضع الكلمة وحسن اختيارها وإدخالها في علاقات مع الألفاظ المجاورة، فهنا تكمن المزية والفائدة، وتدل بهذا على المعنى السليم، وتجلب السامع إلى استحسانها وتبعده عن استكراهاها مثلما وقع في بيت أبي تمام.

وتمكّنّا في هذه الورقة البحثية الموسومة بـ: تجلي التحليل الأسلوبي لدى عبد القاهر الجرجاني الوصول إلى جملة من النتائج هي كالآتي:

- 1- تأثر التحليل الأسلوبي بالدرس اللساني، وذلك من خلال استثماره للدعائم اللغوية التي أرساها اللغوي دي سوسير.
- 2- تأثير جهود الشكلايين الروس في تأسيس مفاهيم التحليل الأسلوبي في طرحة الغربي.
- 3- نيل التحليل الأسلوبي الغربي حظوة لدى نقادنا العرب الحداثيين، والتي تمثلت في جهودهم النظرية والتطبيقية، أمثال: عبد السلام المسدي، صلاح فضل، محمد الهادي الطرابلسي، سعد مصلوح....
- 4- إلتقاء المنهج التحليلي لدى عبد القاهر الجرجاني مع التحليل الأسلوبي التعبيري في قضية المتغيرات التركيبية؛ أي تعدد القيم التعبيرية الواحدة.
- 5- نألف ملامح وإشارات للتحليل الأسلوبي الفردي لدى عبد القاهر الجرجاني عند حديثه عن الصلة القائمة بين المبدع ونصه.
- 6- نلمح إشارات للتحليل الأسلوبي البنيوي لدى عبد القاهر الجرجاني، وذلك من خلال النظرة الوصفية التي يقوم عليها تحليله للشواهد القرآنية والشعرية، وإثارته لقضية التركيب وأهميته في اكتشاف المعنى، فلا يمكن للمفردة أن تدل على معنى بمفردها إلا بدخولها في علاقات تركيبية مع ألفاظ مجاورة لها، وهذا ما يُعنى به التحليل الأسلوبي البنيوي حين يقوم بدراسة العلاقات التركيبية التي تحكم النص الأدبي.

¹ محمد كريم الكواز، علم الأسلوب (مفاهيم وتطبيقات)، منشورات جامعة السابع من أبريل، دط، دت، ص 62.

² توماس غازي الخفاجي، البنى الأسلوبية في سورة الشعراء، تموز طباعة نشر توزيع، دمشق، ص 31-32.

³ ينظر، عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط 5، 2006، ص 34-35.

⁴ جورج مولينييه، الأسلوبية، تر: بسام بركة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 3، 1427-2006، ص 8-9.

⁵ ينظر، المرجع نفسه، ص 9.

⁶ ينظر، عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 27.

⁷ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁸ يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط 1، 2008، ص 178.

⁹ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، أفريقيا الشرق، المغرب، ط 3، 2013، ص 87.

¹⁰ إبراهيم عبد العزيز السمر، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2011، ص 268.

¹¹ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 56.

¹² عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب (دراسة)، مراجعة وتقديم: حسن حميد، دط، 1427-2006، ص 131.

- ¹³ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 87.
- ¹⁴ صلاح فضل، علم الأسلوب (مبادئه وأجراءاته)، كتاب النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط 3، 1408-1988، ص 20.
- ¹⁵ شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 1999، ص 25-26.
- ¹⁶ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 193.
- ¹⁷ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 167.
- ¹⁸ محمد عزام، الأسلوبية (منهجاً نقدياً)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط 1، 1989، ص 92.
- ¹⁹ ينظر، عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص 138.
- ²⁰ جورج مولينييه، الأسلوبية، ص 74.
- ²¹ المرجع نفسه، ص 75.
- ²² م نفسه، الصفحة نفسها.
- ²³ حمادي صمود، الوجه والقفا (في تلازم التراث والحداثة)، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1988، ص 129.
- ²⁴ عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1431-2001، ص 27.
- ²⁵ رايح بوحوش، اللسانيات و تحليل النصوص، عالم الكتب الجديد، إربد، ط 2، 1430-2009، ص 44.
- ²⁶ حمادي صمود، الوجه والقفا، ص 141.
- ²⁷ المرجع نفسه، ص 142.
- ²⁸ بيير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، ط 2، 1994، ص 53.
- * سورة مريم، الآية: 04.
- ²⁹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط 3، 1412-1992، ص 100-101.
- * سورة القمر، الآية: 12.
- ³⁰ شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب (تقييم وتأصيل)، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1407-1987، ص 63.
- ³¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 102.
- ³² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ³³ الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج 3، شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، 1385هـ-1965م، ص 366.
- ³⁴ أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 3، 1411-1991، ص 75.
- ³⁵ نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 1، دار هومة، الجزائر، دط، ص 84.
- ³⁶ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 539.
- ³⁷ حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1418هـ-1998م، ص 11.
- ³⁸ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 44.
- ³⁹ المصدر نفسه، ص 47.
- ⁴⁰ م نفسه، الصفحة نفسها.

* القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

1. محمد كريم الكواز، علم الأسلوب (مفاهيم وتطبيقات)، منشورات جامعة السابغ من أبريل، دط، دت.
2. توماس غازي الخفاجي، البنى الأسلوبية في سورة الشعراء، تموز طباعة نشر توزيع، دمشق.
3. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط5، 2006.
4. جورج مولينييه، الأسلوبية، تر: بسام بركة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2006-1427.
5. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008.
6. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، أفريقيا الشرق، المغرب، ط3، 2013.
7. إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2011.
8. عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب (دراسة)، مراجعة وتقديم: حسن حميد، دط، 2006-1427.
9. صلاح فضل، علم الأسلوب (مبادئ وأجرائه)، كتاب النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط3، 1988-1408.
10. شكري محمد عباد، مدخل إلى علم الأسلوب، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1999.
11. محمد عزام، الأسلوبية (منهجاً نقدياً)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1989.
12. حمادي صمود، الوجه والقفا (في تلازم التراث والحداثة)، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1988.
13. عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1431 - 2001.
14. رايح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الجديد، إربد، ط2، 2009-1430.
15. بيير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، ط2، 1994.
16. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992-1412.
17. شفيق السيد، البحث البلاغي عند العرب (تقييم وتأصيل)، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1987-1407.
18. الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج3، شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1385هـ-1965م.
19. أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1991-1411.
20. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، دار هومة، الجزائر، دط، دت.
21. حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1418هـ-1998م.